والله الموفق وأما الأمر الثاني فقد ضاع أيضا والرأي أنه لم يبق إلا
في الوقت الآن عمارة الثغور وسيرنا قد غفل عنها فقد ضعفت الهمم
غاية وقد مضت مدينة تطلون أيام مولانا الرشيد رحمه الله إذا
سمعوا الصريخ تهتز الأرض خيلا ورماة وبلغني اليوم أنهم إذا سمعوا
بفزع من جانب البحر فإنهم يخرجون يسعون على أرجلهم بأيديهم العصا
والمقاليع وهذا وهن في الدين وغرور على المسلمين وبإتيانهم الفضة من
المغارم الثقيلة وتكليفهم الحركة وأعطاهم العزة لسائر الناس وعلى
سيدنا أن يتفقد أسواق [illegible] من الطلعية التي ماسة ويحرضهم على
الجهاد والحراسة جوابا بجلس إليهم ويعطيهم ما يكلف به غيرهم
ويترك لهم خيلهم وعددهم وعدتهم ويزيدهم ما يحتاجون إليه بهم
حماة بيضة الإسلام وثغوره فيصير بولاية تلك الشراحية أن يكون أشد الناس
رغبة في الجهاد وجرأة في مضايقها وغيرة على الإسلام وأهله ولا يوليه
سيدنا من همته مال يحمله على أن يحبسه وأما الأمر الثالث فقد انتقل أيضا
لأن المنتصبين للشهادة بين الناس من هم العمال في البلد أو من خواصهم وهم
المشتغلون بظلم الناس فكيف يزيل الظلم من يفعله ومن كتب شهادته
عليه سيدنا [illegible] فليس بينها وبين الله حجاب وليجتهد في العدل
فإنه قوام الملك وصلاح الدين والدنيا قال الله تعالى إن الله يأمر بالعدل
والإحسان لعلكم تذكرون وقال تعالى ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز
ثم ذكر المنصورين وشرائط النصر فقال الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا
[illegible] فضمن تعالى للملوك النصر وشرط عليهم هذه الأمور الأربعة
فمتى اختل عليهم أمر الرعية وتسلط عليهم من يستمر عليهم الدولة علموا
أن ذلك من إخلالهم بهذه الأمور فكان عليهم الرجوع إلى الله تعالى وتغيير
ما أمرهم به ورعاية ما استرعاهم وقد اتفقت حكماء العرب والعجم على أن
الجور لا يثبت معه الملك ولا يستقيم وأن العدل يستقيم معه الملك
ولو مع الكفر ونوع أشد الملوك من الكبر [illegible] الملك المتمكن
والكلمة المسموعة والراحة من كل منغص لما كانوا استحقوا بغضا عليه العدل
في الرعية استقلالا الدنيا لهم فكيف بمن يرجو إصلاح الدنيا والدين
والآخرة وقال الحكماء الملك بناء والجند أساسه فإذا ضعف الأساس
سقط البناء فلا سلطان إلا بجند ولا جند إلا بمال ولا مال إلا بجباية ولا
جباية إلا بعمارة ولا عمارة إلا بالعدل فالعدل أساس الجميع وقد وضع
أرسطو طاليس لاسكندر الشكل المشتهر عنه وكتب عليه العالم
بستان سياجه الدولة :: الدولة سلطان تعضده السنة :: السنة
سياسة يسوسها الملك :: الملك راع يعضده الجيش :: الجيش
أعوان يكفلهم المال :: المال رزق تجمعه الرعية :: الرعية عبيد يتعبدهم
العدل

١١٤
العدل :: العدل مألوف وبه صلاح العالم :: العالم بستانا هو وقال صلى الله عليه
وسلم كلكم راع فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته وقال صلى الله عليه وسلم إن الذين
يخوضون في مال الله بغير حق لهم النار يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم
ما من وال يلي شيئا إلا جاء يوم القيامة ويده مغلولة إلى عنقه فإما عدل يفكه
وإما جور يوبقه وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال رأيت عمر
على قتب يعدو وأنه بعير بالأبطح فقلت يا أمير المؤمنين أين تسير
قال بعير شرد من إبل الصدقة أطلبه فقلت أذللت الخلفاء من بعدك
فقال لا تلمني والذي بعث محمدا عليه السلام لو أن عناقا ذهبت بشاطئ
الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة إنه لا حرمة لوال ضيع المسلمين
ولا لوال روع المؤمنين ورأى رضي الله عنه شيخا يهوديا يسأل على
الأبواب فقال عمر ما أنصفناك أخذنا منك الجزية ما دمت شابا ثم
ضيعناك اليوم وأمر أن يجرى عليه قوته من بيت المال وليعلم
سيدنا أن أول العدل أن يعدل في نفسه فلا يأخذ لنفسه من المال إلا
بحق وليسأل العلماء عما يأخذ وما يعطي وقد كان في بني إسرائيل
يكون الأمير على يد نبي فالنبي يأمر والأمير ينفذ للغير ولما كانت
هذه الأمة المشرفة انقطعت النبوة بنبينا خاتم النبيين صلى الله
عليه وسلم وعلى إخوانه النبيين فلم يبق إلا العلماء يقتدى بهم وقال صلى
الله عليه وسلم علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل فكان حقا على خلفاء هذه
الملة أن يتبعوا العلماء ويتصرفوا على أيديهم أخذا وعطاء وقد توفي
النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضي الله عنه وكان قبل ذلك
يبيع ويشتري في السوق لعياله فلما بويع أخذ متاعه إلى السوق على عادته
حتى رده علماء الصحابة وقالوا له إنك في شغل أمر الخلافة عن السوق وجعلوا
له من المال ما يكفي عياله وجعلوا المال على يد أمين وكان هو وغيره فيه سواء
لا يأخذ منه إلا ما قننته الشريعة لنفسه ولغيره وهكذا سيرة الخلفاء
الراشدين بعده فعلى سيدنا أن يقتدي بهؤلاء الخلفاء ويقتدي بأهل
الفتوى ويسأل من علمه من الفقهاء كسيدي محمد بن الحسن وسيدي أحمد
ابن سعيد وغيرهما من العلماء العاملين الذين يتقون الله
ولا يخافون في الله لومة لائم فما أمروك به فخذ به وما نهوك
عنه فاتركه [illegible] وما نهوك عنه فانته هذا سبيل النجاة إن شاء الله